



يظنه البعض سيناريو خاصاً بحمص..!! وخاصة أولئك الذين ينظرون إلى الحدث في أنه منقطعاً عن ظروفه التي دعت إليه، بل ويسارع البعض ليعتبره مجرد خطأ ثوري علينا أن نتعلم منه لكي لا يتكرر . ولقد تلقى سابقاً أهل حمص وأمثالهم \_ فوق ما هم فيه \_ كثيراً من الهمزات واللمزات حول أسباب حملهم السلاح إلى أن وجدت أغلب المحافظات الأخرى الحاجة الملحة التي دعت إلى حمله!!

وهذا السيناريو الذي يخشون من مثلهاليوم هو ما يتربّد على صفحات البعض من مخاطر التمرّس في المدن والذي من شأنه أن يلحق الدمار بها ويدعو أهلها إلى التشرد والنزوح كما حدث لكثير من المحافظات وأكثرها حمص ..

والغريب أن مثل هؤلاء يغفلون بينما هم ينشرون تخوفاتهم عما يعرفه كل العالم من أن أسلوب التدمير الوحشي والنزوح لم يقتصر اليوم على حمص فحسب بل توسيع ليشمل عشرات من البلدات مما يدعو هؤلاء لمزيد من الدراسة والنظر في أسباب ذلك وخصوصاً إن كانوا من رموز الثورة أو في موقع قيادي في صفحات الثورة أو صفوف المعارضة..

لا أريد التحدثاليوم عن سبب حمل السلاح فلقد توسيع في توضيحة في مقالة سابقة بعنوان (لماذا تسلّحتم) ، لكنني أحارّل أن أوضح بعض الأسباب التي أرغمت أهل حمص على التمرّز فيها وعدم الخروج منها وتسليمها رغم الدمار والدماء والنزوح والتشرد . لكنني قبل ذلك أريد أن أذكر الجميع أن الحرب التي تخوضها البلاد ليست مع عقلاً يمكن لأحد التكهن بما يمكن أن يقوموا به بل إننا في حرب مع وحوش بكل ما للكلمة من معنى .. وحوش لا يقيّمون وزناً لأي قيم

أو آلام أو مشاعر أو دماء أو دمار .. وحين كان الرصاص يخترق رؤوس شبابنا لم يكن أحد يظن أن هذا النظام سيبلغ به الجرم ليرسل صواريχه وبكل حنق وحقد إلى أملاك وبيوت الناس ويحولها إلى كومات من الحجارة ويرسل شبيحته إلى الحرارات التي نزح أهلها ليسرقوا ما فيها حتى إذا لم يبق فيها إلا الذكريات ، أخرجوا ما معهم من أدوات الإحرق وجعلوا البيت كتلة من النيران مطبيـن بذلك مقولتهم التي يقدسونها عن الأسد أو إحرق البلد..

وحيـنـما اـرـجـتـ حـمـصـ أـوـلـ مـرـةـ وـكـانـ الصـارـوخـ أـلـوـلـ الـذـيـ تـلـقـاهـ بـاـبـاعـمـرـوـ بـصـدـرـهـ ...ـوـقـفـتـ حـمـصـ كـلـهـ وـهـيـ تـنـصـتـ إـلـىـ قـوـةـ الـانـفـجـارـ ذـاهـلـةـ غـاضـبـةـ..ـلـمـ تـكـنـ تـنـظـنـ بـذـلـكـ الـوـحـشـ الـأـرـعـنـ أـنـ يـصـلـ التـجـبـرـ بـهـ وـبـدـاعـمـيـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـسـتـوـ..ـوـلـكـنـ لـمـ يـكـنـ مـنـ خـيـارـ فـلـقـدـ كـانـتـ الـثـورـةـ بـأـمـسـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الصـمـودـ وـالـتـضـحـيـةـ فـأـثـرـ أـهـلـ بـاـبـاعـمـرـوـ الـكـرـامـ دـمـارـ بـيـوـتـهـ وـتـشـرـيـدـ أـهـالـيـهـمـ وـنـزـفـ دـمـائـهـمـ عـلـىـ أـنـ تـخـمـدـ تـحـتـ ذـلـكـ الـقـصـفـ جـذـوـةـ الـثـورـةـ وـيـظـلـمـ الـأـمـلـ فـيـ قـلـوبـ الـأـجـيـالـ ..ـاـرـجـتـ أـرـضـ حـمـصـ أـيـامـ وـأـيـامـ وـأـبـنـاؤـهـاـ فـيـ بـاـبـاعـمـرـوـ صـامـدـوـنـ وـطـالـ الـأـمـدـ وـاـشـتـدـ الـظـرـوـفـ وـقـسـتـ ...ـ وـنـاـشـدـتـ بـاـبـاعـمـرـوـ أـهـلـ سـوـرـيـةـ أـنـيـ أـقـصـفـ وـنـادـتـ الـعـالـمـ أـنـيـ أـدـمـرـ ...ـوـأـرـسـلـتـ الصـورـ وـالـتـقـارـيـرـ أـنـيـ أـمـسـحـ مـنـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ..ـ وـلـكـنـ ذـلـكـ الصـوـتـ لـامـسـ الـأـسـمـاعـ وـلـمـ تـرـجـعـ لـهـ الـقـلـوبـ كـمـاـ كـانـتـ الـأـرـضـ تـرـجـعـ بـاـنـفـجـارـاتـ الصـوـارـيـخـ الـتـيـ تـخـرـقـ سـقـفـ الـبـيـوـتـ وـتـحـولـهـ إـلـىـ رـكـامـ ..ـاـنـتـهـتـ تـلـكـ الـمـعـرـكـةـ بـاـنـسـحـابـ جـمـيعـ الـبـشـرـ مـنـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـهـدـأـتـ حـمـصـ لـأـيـامـ وـكـانـ النـظـامـ يـظـنـ أـنـ مـعـرـكـتـهـ مـعـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ اـنـتـهـتـ بـاـنـتـهـاءـ مـعـرـكـةـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـلـذـلـكـ أـرـادـ ذـلـكـ الـمـخـتـلـ الـأـرـعـنـ بـشـارـ أـنـ يـكـونـ مـيـدـانـيـاـ فـيـ أـرـضـ خـرـابـ خـاوـيـةـ وـهـوـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـثـبـتـ لـمـ حـوـلـهـ أـنـهـ قـدـ اـنـتـصـرـ وـأـنـهـ الـثـورـةـ حـيـنـ صـورـ نـفـسـهـ يـهـبـطـ بـطـائـرـتـهـ وـيـدـنـسـ تـرـابـ بـاـبـاعـمـرـوـ الـطـاهـرـ ..ـ وـهـنـاـ أـرـيدـ أـنـ ذـكـرـ الـإـخـوـةـ الـذـيـنـ يـتـسـأـلـوـنـ عـنـ بـقـاءـ الـثـوارـ فـيـ حـارـاتـ حـمـصـ أـنـ النـظـامـ بـعـدـ بـاـبـاعـمـرـوـ مـبـاـشـرـةـ بـيـوـمـيـنـ أـوـ أـيـامـ قـلـيلـةـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـكـمـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ حـمـصـ كـلـهـ وـأـرـيدـ أـنـ أـوـضـحـ لـهـؤـلـاءـ طـبـيـعـةـ حـمـصـ وـأـنـ حـوـالـيـ ثـلـثـاـهـ هـمـ مـنـ الـمـؤـيـدـيـنـ لـلـنـظـامـ..ـ وـأـنـ أـعـدـاـدـ كـبـيرـةـ مـنـهـمـ هـمـ شـبـيـحـةـ لـهـ..ـ وـأـنـ هـؤـلـاءـ الشـبـيـحـةـ لـنـ يـتـرـدـدـوـ فـيـ الـاـنـتـقـامـ مـنـ أـهـلـ مـدـيـنـةـ حـمـصـ الـتـيـ صـمـدـتـ بـالـثـورـةـ وـحـافـظـتـ عـلـىـ شـعـلـتـهـاـ حـتـىـ كـانـتـ بـحـقـ هـيـ عـاصـمـةـ لـهـ ..ـ وـلـذـلـكـ كـانـتـ الـخـطـةـ الـتـيـ نـهـجـهـاـ النـظـامـ بـعـدـ بـاـبـاعـمـرـوـ وـخـاصـةـ بـعـدـ أـنـ اـسـتـنـفـ وـقـتـهـاـ الـغـطـاءـ الـدـولـىـ لـلـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـحـرـبـ الصـوـارـيـخـ هـيـ أـنـ اـعـتـمـدـ عـلـىـ الـقـوـةـ الـإـجـرـامـيـةـ لـشـبـيـحـتـهـ فـتـوـالـتـ الـمـجـازـرـ وـالـمـذـابـحـ..ـ وـكـانـ أـولـهـاـ مـجـازـرـ الـعـدـوـيـةـ وـكـرـمـ الـزـيـتـوـنـ وـكـانـ هـدـفـهـ مـنـهـاـ وـاـضـحـاـ لـأـهـلـ حـمـصـ أـنـ يـرـيدـ أـنـ يـبـثـ الـرـعـبـ فـيـ أـهـالـيـ تـلـكـ الـحـارـاتـ الـتـيـ كـانـتـ مـلـاـصـقـةـ لـحـارـاتـ الشـبـيـحـةـ وـالـتـيـ لـمـ تـكـنـ تـمـلـكـ مـنـ الـقـوـةـ الـكـافـيـةـ لـلـصـمـودـ بـسـبـبـ مـحـاـصـرـةـ الشـبـيـحـةـ لـهـاـ وـقـرـبـهـمـ مـنـهـاـ ..ـ وـلـقـدـ كـانـ هـدـفـهـ مـنـ بـثـ ذـلـكـ الـرـعـبـ هـوـ هـرـوـبـ الـحـاضـنـةـ الـشـعـبـيـةـ لـلـمـسـلـحـيـنـ وـنـزـوـحـهـمـ خـوـفـاـ مـنـ تـكـرـارـ الـمـجـازـرـ..ـ وـهـوـ فـعـلـاـ مـاـ حـدـثـ بـعـدـ أـنـ اـنـتـشـرـتـ صـورـ نـبـحـ الـأـطـفـالـ فـيـ كـرـمـ الـزـيـتـوـنـ وـالـعـدـوـيـةـ فـنـزـحـ الـأـهـالـيـ إـلـىـ الـحـارـاتـ الـأـخـرـىـ خـوـفـاـ مـنـ الشـبـيـحـةـ وـبـقـيـ مـسـلـحـوـنـ وـبـعـضـ الـجـيـشـ الـحـرـ يـدـافـعـوـنـ عـنـ تـلـكـ الـحـارـاتـ إـلـاـ أـنـ لـمـ يـكـنـ الصـمـودـ طـوـيـلـاـ بـسـبـبـ قـوـةـ تـدـاـخـلـ تـلـكـ الـحـارـاتـ مـعـ حـارـاتـ الشـبـيـحـةـ عـلـىـ خـطـ طـوـيـلـ لـاـ يـسـهـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ اـقـتـرـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوـبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـجـنـدـلـيـ وـأـمـثـالـهـاـ..ـ حـتـىـ إـذـ اـقـتـرـبـ وـيـدـأـ يـحـيـطـ بـقـلـبـ الـمـدـيـنـةـ حـيـثـ يـصـعـبـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ اـقـتـرـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوـبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـحـارـاتـ..ـ وـكـانـ أـولـهـاـ بـاـبـ السـبـاعـ حـيـثـ أـرـسـلـ لـلـوـجـهـاءـ أـنـ يـرـيدـ الدـخـولـ إـلـىـ بـاـبـ السـبـاعـ لـمـ جـرـدـ الـتـفـيـشـ فـقـطـ وـصـرـحـ لـهـمـ طـلـبـهـ مـنـ الـمـسـلـحـيـنـ اـنـسـحـابـ لـيـدـخـلـ إـلـىـ بـاـبـ السـبـاعـ فـيـفـتـشـ تـفـيـشـاـ شـكـلـيـاـ كـمـاـ قـالـ ثـمـ يـعـودـ أـدـرـاجـهـ..ـ وـلـمـ تـكـنـ تـلـكـ الـأـسـالـيـبـ الـمـاـكـرـةـ تـنـطـوـيـ عـلـىـ الـثـوارـ..ـ وـكـانـتـ بـاـبـ السـبـاعـ حـيـنـهاـ تـعـجـ بـالـنـازـحـيـنـ..ـ فـتـشـاـوـرـوـاـ بـيـنـهـمـ وـتـبـيـنـ لـهـمـ أـنـ النـظـامـ يـرـيدـ أـنـ يـقـتـحـمـ بـاـبـ السـبـاعـ لـيـصـلـ مـبـاـشـرـةـ إـلـىـ حـدـودـ حـمـصـ الـقـدـيمـةـ وـيـطـبـقـ الـحـصـارـ عـلـيـهـاـ فـتـجـاهـلـوـاـ طـلـبـ النـظـامـ مـنـهـمـ بـالـسـمـاحـ لـهـ بـالـدـخـولـ..ـ وـبـدـأـتـ قـذـائـفـ الـهـاـوـنـ تـنـسـاقـطـ وـسـارـعـ النـاسـ إـلـىـ النـزـوـحـ وـبـدـأـتـ مـعـرـكـةـ بـاـبـ السـبـاعـ الـتـيـ لـمـ تـطـلـ إـلـاـ أـيـامـ وـذـلـكـ لـصـفـ الـحـارـةـ وـاـسـتـخـدـمـ الـتـيـ 72ـ فـيـ الـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـالـاقـتـحـامـ وـلـمـ يـكـنـ وـقـتـهـاـ بـيـنـ أـيـديـ الـثـوارـ مـضـادـاتـ لـمـتـلـ تـلـكـ الدـرـوـعـ

ما اضطر الثوار للانسحاب إلى داخل حمص القديمة .. وما حدث في باب السبع حدث في القرابيص وجورة الشياح والقصور إلا أن تلك المناطق كانت واسعة وبعيدة عن الشبيحة فأصر ثوارها على الصمود حماية وظهراً لقلب حمص ودفعوا ثمن ذلك نزواحاً ودماراً كبيراً .. وبقيت حمص حتى اليوم على عهدها ترسم حروف الصمود وتحافظ على القلب النابض للثورة رغم توقف قلوب مئات من أبنائها عن النبض وارتحالهم إلى دار البقاء. لقد ركز النظام معظم وحشيته على حمص وتحدى أبناءها بما لديه من مختلف أنواع الإجرام والعنف لأنه يعلم أنه لو قضى على حمص وأسقطها فسيكون لذلك وزن كبير عنده وعند شبيحته في الداخل والخارج، ولذلك كانت حمص إحدى أهم محاور حديثه مع لافروف عندما استقبله في دمشق. لكن ثوار حمص وثوار المحافظات الأخرى كانوا ينظرون بتعجب إلى دمشق وهم أسفون حزاني على أن كل ما يبذلونه سيذهب هدراً إن لم تقم دمشق معلق النظام ورموزه .. كانوا يعلمون أن معركتهم لا تنهي المظاهرات ولا المليونيات لأنها ليست معركة مع عقلاً إنما هي مع مجاني وشبيحة ورأس سفيه أحمق لهم لا تزيحه إلا القوة ولو توقفت سوريا كلها عن الحياة .. إن ثوار حمص الذين قاموا بصنع ذلك السيناريو هم متذكرون وعن تجربة أنهم لو انسحبوا لكان خسائرهم أكبر بكثير مما حصل من الدمار الذي يرونـه اليوم... وما تلك الحرارات التي نزح أهلها عنها من شهور وهي خاوية عنهم بعيد، حيث لم يسمح النظام لأحد من أصحابها أن يعود إليها بل اعتقل وقتل وذبح من يعودون ويجلسون في بيوتهم يظلونون الآمان.. إنهم على يقين أن النظام يريد أن يعيدهم إلى بيوتهم بيديه وعلى طريقته بعد أن يدمر ما في قلوبهم ويفسـلـها من كل معانـي الثورة ويعيدـ إليها ما كان قد صـبـ فيها من خوف وجـنـ وإذـالـ .. إنـ هـذـاـ السـينـارـيوـ أيـهاـ السـادـةـ كماـ نـرىـ قدـ اـضـطـرـتـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ المـحـافـظـاتـ وـالـبـلـدـاتـ فـيـ سـورـيـةـ وـلـقـدـ بـلـغـ الدـمـارـ مـاـ بـلـغـ لـيـسـ بـسـبـبـ الثـورـةـ .. فالـثـورـةـ حـافـظـتـ عـلـىـ سـلـمـيـتـهاـ شـهـرـاـ طـوـيـلـةـ وـقـدـمـتـ آـلـافـ سـلـمـيـنـ مـنـ الشـهـادـاءـ بـلـ لأنـ ذـلـكـ النـظـامـ الـمـحـتـلـ هوـ نـظـامـ أـفـاكـ حـاـقـدـ أـثـيـمـ لـاـ تـرـجـهـ الضـغـوطـ وـلـاـ جـمـيـعـ مواـزـيـنـ السـيـاسـاتـ فـهـوـ أـحـمـقـ يـخـوضـ مـعـرـكـةـ مـصـيرـهـ وـلـنـ يـتـنـازـلـ عـنـهاـ إـلـاـ حـيـنـماـ تـتـنـازـلـ رـوـحـهـ النـتـنـةـ عـنـ جـسـدـ الـخـبـيـثـ .. إنـ كـلـ ذـلـكـ الدـمـارـ الـذـيـ اـرـتـسـمـ عـلـىـ أـرـضـ سـورـيـةـ سـتـحـدـدـ دـمـشـقـ قـيـمـتـهـ حـيـنـماـ تـقـبـلـ بـهـ ثـمـنـاـ لـتـضـحـيـ بـهـدـوـئـهـ وـتـجـارـتـهـ وـبـعـضـ زـخـرـفـتـهاـ وـتـنـالـ شـرـفـ إـزـالـةـ أـشـدـ الطـغـاةـ إـجـرـاماـ .. فـلـقـدـ وـصـلـتـ الـيـوـمـ الـكـرـةـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـاقـتـرـبـتـ مـنـ الـهـدـفـ .. فـإـلـيـ مـزـيدـ مـنـ الـبـذـلـ وـالـتـضـحـيـةـ فـلـقـدـ قـارـبـ الـمـرـكـبـ عـلـىـ الغـرـقـ .. عـلـىـ أـهـلـ دـمـشـقـ الـيـوـمـ أـنـ يـصـبـرـوـاـ عـلـىـ أـصـوـاتـ الـقـذـائـفـ فـلـطـالـمـاـ حـكـيـ الـتـارـيـخـ عـنـ بـطـولـتـهـ ضـدـ الطـغـاةـ وـعـنـ صـبـرـهـ عـنـ الـمـلـمـاتـ وـالـحـرـوبـ وـعـنـ شـهـامـتـهـ .. عـلـىـ أـنـ أـمـرـأـ سـتـةـ ،ـ أـمـورـلـابـدـ أـنـ يـفـطـنـواـ لـهـاـ وـهـيـ :

تأمين المدنيين وحمايتهم عند كل تصعيد في أي حارة وتأمين الملاجئ والزاد والأمر الثاني هو توحيد العمل العسكري في كل العاصمة فإن معركة العاصمة لا يصلح معها أي ارتجال.. ولا بد من حسن التنسيق بين كل الكتائب وسد كل الثغور وتأمين طرة الإمداد.

والأمر الثالث هو قطع أوردة الحياة التجارية والأسواق العامة والعصيان المدني مهما كلف الثمن ولتقصر كل حارة على محلاتها وبعض أسواقها الهمامة.

والأمر الرابع عدم التركيز على حارة واحدة في دمشق بل محاولة إشعال كل حاراتها وذلك بهدف إنهاء النظام واقتتسام الضغوط بين عدد من الحارات.

والأمر الخامس وهو الصمود وعدم التوقف فهي معركة نهاية الأسد ويجب أن لا تقف أو تخمد حتى تحقق غايتها بعون الله تعالى وإن طالت.

والأمر السادس هو أن عليهم الانتباه إلى كثير من مؤسساتنا في دمشق وما فيها من كثير مما يجب علينا حمايته من أولئك السارقين القتلة الذين يعملون على الانتقام والتخريب والإحراء ...

إن على دمشق اليوم أن لا تجزع من حمص وسيناريوهات حمص فإن لكل محافظة وضع وظرف وضرورات لكن عليها

أيضاً أن تعلم أن المعركة في دمشق لا يمكن أن تتحقق بدون بعض الدمار والتضحيات والقذائف وإن حمص وأخواتها قد حملت على كاهلها الحجم الأكبر من الدمار فلم يبق لدمشق بإذن الله إلا القليل فعليها أن لا تتردد في بذل ما لا بد منه.

المصادر: